

الرَّسَالَةُ ١٤٣

أَمِلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي

(Arabic - Incline your ear unto my sayings.)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: أَمِلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي

وَمِنْ سَفَرِ الْأَمْثَالِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ نَقَرْنَا الْأَعْدَادَ مِنَ الْعَدَدِ الْعَشْرِينَ إِلَى الثَّلَاثِ وَالْعَشْرِينَ:

"يَا ابْنِي. أَصْنَعُ إِلَى كَلَامِي. أَمِلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي. لَا تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ احْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ لِأَنَّهَا هِيَ حَيَاةٌ لِلَّذِينَ يَجِدُونَهَا. وَدَوَاءٌ لِكُلِّ الْجَسَدِ. فَوْقَ كُلِّ تَحْفِظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ. لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ"^١.

أصواتٌ عديدهٌ متنوعهٌ تصلُ إلى آذاننا على الدوام. منها ما نحبُّ أن نسمعَ ومنها ما لا نحبُّ. وتلك الأصواتُ يُترجمها العقلُ بعدَ أن تستقبلها الأذنُ فنفهمُ معانيها. ومن ثمَّ تتحركُ مشاعرنا بردَّ فعلٍ معين. إما استحساناً لما نسمعُ أو استهجاناً له. وهذا يتوقفُ على نوعيةِ المملكةِ التي نتبعُ لها. فمن يَنسبُ إلى مملكةِ الظلمةِ يميلُ بأذنيه إلى ضجيجِ العالمِ الشرير. ومن يَنسبُ إلى مملكةِ النورِ فليديه حاسةُ التمييزِ الروحيةِ ولا يميلُ بأذنيه إلا إلى صوتِ الراعيِ الصالحِ لأنه يعرفه. لقد قالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "خِرافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي. وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرَبُ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتِ الْغَرِيبِ". وَمِمَّا قَرَأْنَا بِسَفَرِ الْأَمْثَالِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ. نَرَى تَوْجِيهَاتٍ حَكِيمَةً يُشِيرُ عَلَيْنَا بِهَا كَاتِبُ السَّفَرِ بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ. لِيَتَنَا نَحْرُصُ عَلَى سَمَاعِهَا وَنَمِيلُ بِأَذَانِنَا إِلَيْهَا.^٢

أولاً: حُسْنُ الْإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ.. كثيراً ما نسمعُ كلامَ الله. ولكننا معَ الأسفِ أحياناً لا نصغي بكلِّ جوارحنا إلى ما نسمعُ. لذا يقولُ الحكيمُ في أمثاله: "يَا ابْنِي. أَصْنَعُ إِلَى كَلَامِي". فالإصغاءُ يُعطينا استيعاباً أكثرَ لما نسمعُه. وقدرةً على الإلمامِ بدقائقِ ما نسمعُ. فلا يفوتنا شيءٌ منه. ومن يُجيدُ فنَّ الإصغاءِ تنطبعُ في ذهنه قيمٌ ومعانٍ يُمكنه تذكرها بسهولة. وبالتالي تنطبعُ تلكُ القيمُ على حياته اليوميةِ وتظهرُ في سلوكه. لقد سجَّلَ يَعْقُوبُ فِي رِسَالَتِهِ تِلْكَ النَّصِيحَةَ الْغَالِيَةَ: "وَلَكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ لَا سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نَفُوسَكُمْ". وَقَالَ أَيْضاً فِي رِسَالَتِهِ: "إِذَا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءَ. لِيَكُنْ كُلُّ إِسْنَانٍ مُسْرِعاً فِي الْإِسْتِمَاعِ. مُبْطِئاً فِي التَّكَلُّمِ. مُبْطِئاً فِي الْغَضَبِ".^٣

ثانياً: الْمِيلُ بِالْأَذْنِ لِلتَّرْكِيزِ عَلَى أَقْوَالِ اللَّهِ.. فالميلُ بالأذنِ ابتغاءٌ لسماعِ صوتِ الراعيِ الصالحِ ولا سِوَاهُ وَذَلِكَ يَلْزَمُنَا لِنَتَجَنَّبَ صَوْتِ الْغَرِيبِ. ولذا يقولُ الحكيمُ: "أَمِلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي". والمُعْتَادُ أَنْ الْمِيلَ بِالْأَذْنِ نَحْوَ الْمُتَحَدِّثِ يَجْعَلُنَا أَكْثَرَ قَرِيباً مِنْهُ. أَفَلَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَحْيَ رُؤُوسَنَا وَنَمِيلُ بِأَذَانِنَا بِقَدْرِ مَا نَسْتَطِيعُ لِنَتَلَذَّ بِحَدِيثِ الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ وَالْحِكْمَةِ النَّازِلَةِ مِنْ فَوْقِ مَنْ عِنْدَ أَبِي الْأَنْوَارِ؟ لِيَسُوعَ الَّذِي شَهِدَ عَنْهُ الْوَحْيُ بِأَنَّهُ "لَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ عِشٌّ". حَدَّثَ يَوْمًا أَنْ أَرْسَلَ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ خُدَّامًا كَيْ يَلْقُوا الْأَيَادِي عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ وَلِيَأْتُوا بِهِ إِلَيْهِمْ. عَادَ خُدَّامُهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِ وَحِينَ سَأَلُوهُمْ لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ أَجَابُوا قَائِلِينَ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِسْنَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ".^٤

حينَ أَصْنَعِي خُدَّامُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ إِلَى كَلَامِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَأَمَالُوا أَدَانَهُمْ إِلَى أَقْوَالِهِ. تَغَيَّرَتْ قُلُوبُهُمْ وَامْتَلَأَتْ بِحُبِّ عَجِيبٍ لِشَخْصِيهِ. لَقَدْ تَغَيَّرَتْ مَفَاهِيمُهُمْ فَعَرَفُوا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ. إِنَّ كُلَّ الَّذِي نَسْمَعُهُ نَحْنُ الْبَشَرُ يَنْبَغُ مِنْ مَصْدَرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا. الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ هُوَ صَوْتُ اللَّهِ. أَمَّا الْمَصْدَرُ الثَّانِي فَصَوْتُ الشَّيْطَانِ. وَصَوْتُ اللَّهِ يَأْتِينَا بِإِرْشَادِ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَى لِسَانِ رِجَالِ اللَّهِ الْعَاكِفِينَ عَلَى تَفْصِيلِ كَلِمَةِ الْحَقِّ بِالْإِسْتِقَامَةِ. وَذَلِكَ يَقُودُنَا إِلَى الْخُضُوعِ لِجَلَالِهِ وَتَمَجِيدِ اسْمِهِ. وَبِعِظْمَةِ مَا خَلَقَ وَبَدِيعِ مَا صَنَعَ. "إِنَّ السَّمَوَاتِ حَدَّثَتْ بِمَجْدِ اللَّهِ. وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ".

^١ سفر الأمثال ٤: ٢٠ - ٢٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولويسي ١: ١٣ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل يوحنا ١٠: ٥

^٣ رسالة يعقوب ١: ١٩ & ٢٢ ، سفر أعمال الرسل ١٧: ١٠ - ١٢

^٤ سفر إشعياء ٥٣: ٩ ، رسالة يعقوب ١: ١٧ ، إنجيل يوحنا ٧: ٤٦

أَمَا صَوْتُ الشَّيْطَانِ فَيَأْتِينَا بِلَا تَوْقِفٍ لِيُخَدِّعَ بِأَكَاذِيهِهٖ وَأَقْوَالِهِ الْمَسْمُومَةِ. مُسْتَعْدِمًا كُلَّ إِمْكَانِيَّاتِهِ وَقَوَاتِيهِ الشَّرِيرَةِ "وَلَوْ أَمَكْنَهُ فَلَا يَتَوَرَّعُ أَنْ يُضِلَّ الْمُخْتَارِينَ وَلَا يَسْتَحْيَ أَنْ يَظْهَرَ كَمَلَكَ نُوْرٍ مُسْتَعْدِمًا الْكَلِمَةَ الْمَكْتُوبَةَ غَاشًا فِيهَا".^١

ثَالِثًا: الْإِذَانُ الْمُدْرِبَةُ قَادِرَةٌ عَلَى تَمْيِيزِ صَوْتِ اللَّهِ.. إِنَّ التَّصَافِقَاتِ بِالرَّبِّ وَبِمُؤَاطَبَتِنَا عَلَى الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْكَلِمَةِ وَمُشَارَكَةِ الْقَدِيسِينَ فِي دِرَاسَتِهَا. تَصْبِحُ الْإِذَانُ مُدْرِبَةً وَالْحَوَاسُّ الرَّوْحِيَّةَ فِينَا مُسْتَجِيبَةً لَصَوْتِ اللَّهِ. مُنْذَوِّقَةً لِحَلَاوَةِ كَلَامِهِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْمُرْتَمُّ: "أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرَ الشَّهَادِ". وَالْإِذَانُ الْمُدْرِبَةُ لَا تَخْدَعُ. بَلْ هِيَ تَمِيلُ دَائِمًا إِلَى أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَلَقَدْ تَغْنَى دَاوُدُ النَّبِيَّ بِأَقْوَالِ الرَّبِّ وَكَلَامِهِ قَائِلًا: "سِرَاجٌ لِرَجْلِي كَلَامُكَ وَنُوْرٌ لِسَبِيلِي".^٢

حَدَّثَ يَوْمًا أَنَّ شَبَّ حَرِيْقٍ فِي أَحَدِ الْمَنَازِلِ. فَاسْرَعَ رَجَالُ الْإِنْقَازِ وَانْتَشَلُوا رَجُلًا وَزَوْجَتَهُ مَعَ صَبِيٍّ وَفَتَاةٍ. أَخْرَجُوا الْأَرْبَعَةَ وَكَانُوا فِي حَالَةٍ إِعْيَاءٍ شَدِيدٍ مِنَ الدَّخَانِ الْمُكَاتِفِ الَّذِي تَصَاعَدَ مِنْ نِيرَانٍ اشْتَعَلَتْ بِإِدْبَةِ مِنَ الطَّبَاقِ الْأَسْفَلِ مُتَّخِذَةً طَرِيقَهَا إِلَى الْأَعْلَى. فَوَجَّئُ أَحَدُ رَجَالِ الْإِنْقَازِ بِطِفْلَةٍ تَطَلَّ مِنْ نَافِذَةِ الطَّبَاقِ الْأَعْلَى تَسْتَعِيْثًا. فَاسْرَعَ رَجَالُ الْإِنْقَازِ بِمَلَاءَةٍ كَبِيرَةٍ بَسْطُوْهَا مِنْ أَسْفَلٍ. وَصَاحُوا بِالطِفْلَةِ أَنْ تَلْقَى بِنَفْسِهَا فَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُمْ. فَبَادَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْوَدَّاءِ وَأَنْبَأَهُ بِاسْتِغَاثَةِ طِفْلَةٍ تَطَلَّ مِنْ نَافِذَةِ الطَّبَاقِ الْأَعْلَى فَاسْتَجَمَعَ الْأَبُ قَوَاهُ وَوَقَفَ أَسْفَلَ النَّافِذَةِ. وَبِأَعْلَى صَوْتِهِ صَاحَ مُنَادِيًا ابْنَتَهُ كَيْ تَلْقَى بِنَفْسِهَا. وَفِي الْحَالِ حِينَ سَمِعَتْ الطِفْلَةَ صَوْتَ أَبِيهَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا!! لَمْ تَأْمَنِ الطِفْلَةَ لَصَوْتِ الْغُرَبَاءِ. وَلَكِنَّهَا أَمِنَتْ لَصَوْتِ أَبِيهَا لِأَنَّ أَدْنَهَا مُدْرِبَةٌ عَلَى سَمَاعِهِ فَالْقَتْ بِنَفْسِهَا مُسْتَجِيبَةً لَهُ.^٣

لَيْتَنَّا نَحْتَرِسُ وَلَا نَخْدَعُ بِصَوْتِ مَنْ يَسْتَمِيلُنَا غَاشًا مُخَادِعًا. وَتَصُمُّ آذَانُنَا فَلَا نَلْبِي نِدَاءَاتِهِ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَهُوَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلَا يَأْتِي إِلَى دِينُونَةٍ. بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ". لَيْتَنَّا نَصْغِي إِلَى كَلَامِ الرَّبِّ الَّذِي جَاءَ لِيَنْقِذَنَا مِنَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ. لَيْتَنَّا نَمِيلُ بِآذَانِنَا إِلَى أَقْوَالِهِ وَنَلْقَى بِأَنْفُسِنَا الثَّمِينَةِ بَيْنَ أَحْصَانِ مَنْ أَحْبَبْنَا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا وَأَعْطَانَا ضَمَانًا لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِي النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ.^٤

رَابِعًا: يَقُولُ الْحَكِيمُ: احْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ.. إِنَّ الْأَذْنَ تَسْمَعُ وَتَصْغِي وَتَمَيِّزُ. وَلَكِنَّهَا لَا تَحْتَرِنُ شَيْئًا. فَالْقَلْبُ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي بِدَاخِلِهِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْتَرِنَ الْجَوَاهِرَ الثَّمِينَةَ الَّتِي تَسْتَقْبَلُهَا آذَانُنَا. وَالْقَلْبُ أَيْضًا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ يُمَكِّنُ اخْتِرَانُ السَّمُومِ الْقَاتِلَةِ الْمُدْمِرَةِ لِذَلِكَ "فَوْقَ كُلِّ تَحْفَظِ احْفَظْ قَلْبِكَ لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ". قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَثْرِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ. وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنَ الْكَثْرِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشَّرُورَ". قَالَ الرَّبُّ لَشَعْبِهِ فِي الْقَدِيمِ عَنْ وَصَايَاهُ: "وَلَتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ".^٥

كَثِيرًا مَا يَتَحَوَّلُ الْاسْتِمَاعُ إِلَى عَادَةٍ يَعْتَادُهَا الْإِنْسَانُ إِنْ لَمْ يُخْبِئْ مَا يَسْمَعُهُ دَاخِلَ قَلْبِهِ. وَيَرَى النَّاسُ فِيهِ صُورَةَ التَّقْوَى وَلَكِنْ لَا يَلْمَسُونَ قُوَّتَهَا فِي سُلُوكِهِ. وَتَبَعًا لِذَلِكَ لَا يَحْصُلُ عَلَى نَتَائِجٍ إِيْجَابِيَّةٍ فِي حَيَاتِهِ الرَّوْحِيَّةِ. إِنْ رُوحُ اللَّهِ يَدِينُ فِي الْإِنْسَانِ لِيَتَوَبَّ وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ. وَلَكِنْ إِحْسَاسُ الْإِدْبَةِ يَنْطَفِئُ بِدَاخِلِهِ حَتَّى يَنْعَدِمَ بِنُوَالِي الْمَرَاتِ الَّتِي فِيهَا يَسْمَعُ صَوْتُ الرَّوْحِ الْقُدُسِ الْمُوْجَّهَ إِلَى ضَمِيرِهِ دُونَ اسْتِجَابَةٍ حَقِيقِيَّةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الْقَلْبِ. قَالَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِي مَزْمُورِهِ: "خَبَاتٌ كَلَامِكَ فِي قَلْبِي لَكَيْلًا أَخْطِئَ إِلَيْكَ". نَخْطِئُ إِنْ لَمْ نَحْرُصْ عَلَى حِفْظِ الْجَوَاهِرِ فِي دَاخِلِ قَلْبُونَا.^٦

عَزِيزِي الْقَارِئُ.. لَيْتَكَ تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ إِلَهِي لِكَلَامِكَ الَّذِي اسْتَعْدِنِي سَمَاعِي إِيَّاهُ. فَقَدْ لَمَسَ أَعْمَاقَ قَلْبِي. أَتَى إِلَيْكَ دُونَ تَوَانِي لِأَعْلِنَ أَمَامَ جَلَالِكَ رَغْبَتِي فِي بَدْءِ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لِأَخْبِي كَمَا أُوصِيْتِنِي أَقْوَالِكَ فِي وَسْطِ قَلْبِي لَكَيْلًا أَخْطِئَ إِلَيْكَ. وَأَحْيَا بِكَلَامِكَ لِأَسْتَمِيعَ عَلَى الدَّوَامِ بِسَلَامِكَ الْعَجِيبِ. أَمْلَأْنِي رَبِّي بِرُوحِكَ الْقُدُسِ. وَهَبْنِي قُوَّةً لِأَتَمِّمَ مَسِيْنَتَكَ فِي حَيَاتِي. وَأَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ اسْتَجَبْتَ لِعَبْدِكَ. لِأَنِّي أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ. وَآثِقًا فِي صِدْقِ وَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر المزمير ١٩: ١، إنجيل متى ٢٤: ٢٤، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١١: ١٤، وتيموثاوس الثانية ٢: ١٥

^٢ سفر المزمير ١٩: ١٠ & ١١٩: ١٠٥، الرسالة إلى العبرانيين ٥: ١٤، سفر التكوين ٣: ١٠

^٣ إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧ - ٢٩

^٤ إنجيل يوحنا ٥: ٢٤، إنجيل يوحنا ٣: ١٦ - ١٩

^٥ إنجيل متى ١٢: ٣٥، سفر التثنية ٦: ٦

^٦ سفر التكوين ٦: ٣، رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣: ٥، سفر المزمير ١١٩: ١١